الباب الثاني

الصحافة الإسلامية والدعوة

الصحافة التي تحمل صفة الإسلامية وتقوم على منهج الإسلام شكلاً وموضوعاً، لها دورها المتميز في التأثير والفاعلية، بتميزه في المضمون والوسيلة والهدف .

وهو ما يتناوله هذا الباب في ثلاثة فصول :ـــ

- الفصل الأول : يقوم على بيان أهمية العمل الصحفي في ميدان الدعوة .
- الفصل الثاني : يفصّل دور الصحافة في تثبيت العقيدة .
- الفصل الثالث : يقوم على توضيح دور الصحافة في المحافظة على الشريعة والعمل على تدعيمها في المجتمع .

الفصل الأول

أهمية العمل الصحفي في ميدان الدعوة

يتضمن هذا الفصل النقاط الرئيسة التالية :

١ ــ المحتوى الصحفي لخدمة الدعوة .

٢ ــ الصحافة والرأي العام .

٣ ــ دور الصحافة في تحقيق التقدم الفكري .

إن الدعوة الإسلامية تقف اليوم على أبواب منعطفات كثيرة جداً نتيجة لتسابق المتغيرات في حياة الأمم والشعوب، ومن بينها العالم الإسلامي، الذي شهد هو الآخر متغيرات مادية واقتصادية مركبة ومعقدة، وكان من واجب العلماء والدعاة على ضوء تسابق المتغيرات أن يعيدوا النظر في مسيرة الدعوة الإسلامية ووسائلها، ودراسة المعوقات التي تحد من إنطلاقها .

ولا يريد «المؤلف» هنا أن يخوض في المشكلات المعقدة التي تواجه الدعوة والدعاة. ولا في المتغيرات ومايتطلب من الاهتمام بها، بل الذي يهمه هو «بيان دور الإعلام والصحافة في خدمة الدعوة الإسلامية» .

إن عزوف الدعاة عن العمل في وسائل الإعلام – ومنها الصحافة – عطّل دور هذه الوسائل كأدوات فعالة للدعوة إلى الله، فيتطلب اعداد الدعاة في مجالات الإعلام المختلفة، ليوجهوا الكلمة أخطر أداة عرفتها البشرية في سبيل الدعوة إلى الله، وتغيير الأمم وتوجيهها إلى تحقيق غاية وجودها على الأرض، وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

والمعروف أنه في بداية القرن التاسع عشر تزايد عدد الصحف في العالم أجمع وأخذت الصحافة تتطور باعتبارها أداة إعلامية ووسيلة رئيسة في ايصال الأنباء والأخبار إلى الناس كافة، بعد أن تختار ما يصلح منها في ضوء خطة توجيهية تكون عاملاً من عوامل جذب الناس إلى الآراء والأفكار التي تحملها .

ولكي ندرك أهمية الإعلام بالصحيفة في التأثير على مصائر الدول والأفكار والأخلاق العامة وأنواع السلوك الفردية والاجتماعية، نذكر أن رجلا «كنابليون بونابرت» في الوقت الذي يستعد فيه لممارسة سيادته على أوربا كلها، كان رئيساً لتحرير الجريدة الوحيدة الناطقة باسم الجانب الفرنسي تحت عنوان «لومونيتور» Lemoniteur وبذلك أصبح نابليون في بلاده الصحفي الحر الوحيد – من وجهة نظر الفرنسيين – والكاتب الذي يرد بمقالات على حملات الصحف الأجنبية، وقد كان يبذل في اعداد هذه المقالات من الجهد ماجعلها متميزه – كما يقول المؤرخون – بالمنطلق البارع والبلاغة العالية والأسلوب الجميل .

وإذا ماعرفنا أن مراحل الغزو الفكري للحياة الإسلامية لعبت

دوراً فعالاً عبر وسائل الإعلام، تمثل في ماتبثه وتنشره الصحف والمجلات الخاضعة لتوجيه وكالات أنباء ومؤسسات معينة، وماتقدمه باقي وسائل الإعلام من برامج تساعد على تنمية اتجاهات الغريزه والشهوة، وماتساهم به في نشر العداوة والحقد بين المسلمين، وكذلك ماتنقله لنا الصحافة من أخبار الجريمة وصور المجتمعات غير الإسلامية مما ساهم في عزل المسلمين عن الجو الإسلامي الصحيح، فتهيأ المناخ للأفكار والنظريات المذهبية أن تبث حقدها وسمومها ضد الإسلام.[1]

إذن نحن اليوم أمام مثل هذه الوسيلة الفاعلة في الميدان الإعلامي، ولا أبالغ إذا ما قلت : إننا نعيش «عصر الصحافة» .

وكلما كان سلاح الصحافة أكثر مضاء وفاعلية، كانت المسؤولية المترتبة على حمله أخطر وأشد حاجة إلى الملكة الاخلاقية التي يتقرر بها مصير الأمم .

خدمة الدعوة :

يقول الله تعالى : ﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾[2]

والتعارف يتم بالاحتياج إليه، والاحتياج إليه فرضته الظروف الاجتماعية والسنن الكونية وقواعد اختلاف البيئات وتنوع الاحتياجات البشرية، وكذلك تنوع المواهب والقدرات، مما جعل

(١) أنظر – صابر طعيمه – الإسلام وعالمنا المعاصر ص ص ١٦ ، ٢٨ ، الطبعة/١ ١٤٠١هـ/١٩٨١م، مكتبة المعارف – الرياض

(٢) سورة الحجرات الآية/ ١٣ .

كل بيئة وكل شعب وكل قبيلة تحتاج إلى الأخرى لاستكمال حاجاتها وتصدير الزائد مما لايحتاج إليه من موارد مادية وثقافية.

والإعلام كمادة ثقافية وكوسائل مادية قد خضع لنفس القاعدة، فالانسان كان وسيظل في حاجة دائماً إلى وسائل تخدم قضايا التعارف، يستفيد مما يملك من ثروات ومواهب بالمحافظة عليها ويتبادل جزء منها مع الآخرين، فاختلفت الوسائل وتعددت وتنوعت وتطورت لتقوم بالوظائف الأساسية، وهي المحافظة على الثروات والنعم المادية والمعنوية، ثم تنمية هذه الثروات والنعم، ثم تنظيم الاستهلاك والتوزيع والتبادل بالقدر الذي يراه محققا للفائدة العامة .

فكان الاتصال والتعارف دافعا إلى استعمال الوسائل المختلفة لمراقبة البيئة والظروف المحيطة والأخبار عما تحمله من فوائد وأخطار، ولكي يتم ما تستحقه هذه الظروف من قرارات كان لابد من وسيلة للاعلام تذيع الأخبار ثم تنشر الآراء والاتجاهات التي تحقق الموقف المطلوب لمواجهة هذه الظروف، فتقوم بنشر القرارات والأوامر التي تصدر في هذه الشئون وتحتفظ بما يفيد الأجيال من تجارب وأفكار، ثم تنقل هذه التجارب والأفكار من جيل إلى جيل، وهكذا نشأت قديما وظائف الإعلام – بمختلف وسائله – وبقيت على ماهي عليه من حيث المضمون الأساسي، وإن أختلفت الوسائل وتطورت وتبدلت .

وإذا كانت الفطرة البشرية تجد من نفسها الدافع الخلقي لنقل الأفكار والآراء والمعتقدات إلى الغير، فاننا المسلمون ندرك بيقين بأن الإسلام دين الفطرة، كما نعلم بأن الأمر الألهي كلَّف المسلمين

بحمل أمانة الدعوة وتبليغها، مما يزيد من أهمية استخدام الوسائل كافتها لتحقيق هذا التكليف .[1]

ولا ريب أن الصحافة من أهم وسائل الاتصال والتبليغ والتعارف والتعاون البشري، كما أنها من أقوى الوسائل تأثيراً في المجتمع، لا سيما في عصرنا الحديث، وأيضا بما أنها ضرورة نفسية إنسانية، فهي بذات الوقت ضرورة اجتماعية ... وبهذا فلا مفر للأنسان المسلم من استخدام هذه الوسيلة بل والتعبد باستخدامها في ميدان الدعوة إلى الله ونشر دينه وتوصيل تعاليم هذا الدين الى الناس في كل مكان .

وبما أن الصحافة وسيلة توجيه وإرشاد، تعمل على تكامل الشخصية الأنسانية بواسطة الخبر والمقال والتعليق والتحقيق، وغير ذلك من الثمرات التي تحملها الصحافة اليوم، فهذا أحد أهداف الرسالة الإسلامية بلا شك .

يقول ... محمد رمضان لاوند «فكما أن مجتمع اليوم لا يحتفظ بوحدته وسلامته وطمأنينته إلا بتوفير السلع المصنعه التي تكسو جسده، وتملأ معدته وترضي ذوقه، بعيداً عن فطرة المجتمع البدائي الذي يقتصر في الكسوة على ورق الأشجار أو ماهو قريب منه، ويكتفي بلحم الحيوان النيء، وثمر الشجر في طعامه أو ماهو قريب منه، فإن عقل المجتمع في وقتنا هذا لا يحتفظ بسلامته العقلية وصحته النفسية إلا بتوفير سلعة إعلامية مصنعة دقيقة ألوان التعبير للسمع

---

(١) دكتور / عمارة نجيب – محاضرات في الإعلام ووظائفه ص ٤٠ .

والبصر، وهما الطريقان الطبيعيان للنفاذ إلى عقله وتربيته ورياضته» .[1]

وعليه لم تكن وظيفة الصحافة الأولى - وهي الأخبار - أي نقل الأخبار وتفسير الأنباء والتعليق عليها على مستوى كل من الأحداث الصغيرة والكبيرة، هي الوظيفة الوحيدة، إنما بجانب هذه الوظيفة ممارسة الصحافة بصورة غير مباشرة نفوذاً منظماً على الجسم الاجتماعي. وذلك بوظائفها العلاجية النفسانية... كما يقرر ذلك بيار البير بقوله : «فالقراءة المنتظمة للجرائد اليومية والصحف الدورية تساعد الانسان على تطهير أهوائه وعلى التخلص من بعض الشوائب، ويقود مفهومها للأخلاقية التقليدية غالبا إلى ادانة استغلال الصحافة لروايات الأعمال الاجرامية وشطط الأهواء الغرامية والفضائح العائلية والسياسية، والتدخل في الحياة الخاصة لنجوم الأحداث الراهنة ونشر الصور الخليعة، وطبعي أن نجاح هذا النوع من المقالات يعود في الواقع إلى مصادر الصحافة. فقراءة الصحافة تساعد على امتزاج الانسان في جسم المجتمع لأن قراءتها نوع من الحديث مع العالم» .[2]

وهذا ما يدعو اليه الاسلام ويصفه بالتعارف.

وهنا نجد سؤالا يطرح نفسه مؤداه: «ما هو المحتوى اللازم لخدمة الدعوة الإسلامية من خلال الصحافة ؟» .

---

(١) الإعلام والعلاقات الانسانية ص ٤٥ .

(٢) بيار البير. الصحافة. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٠م. ص ٢٨ .

المحتوى الصحفي :

الجواب عن هذا السؤال – كما يقول محمد رمضان لاوند في كتاب «الإعلام والعلاقات الانسانية»[1] يكمن في التجربة التأريخية، فنحن نتبينه حين نستعرض شريط القرون الماضية، لنكتشف القوة الكبرى التي تحرك الجماهير وتصنع العقول على الصورة المطلوبة، هذه القوة هي قوة الكلمة أولاً .

الكلمة هي الآداة السحرية التي تغير وجه التأريخ، إنها المنجم الذي تستخرج منه الأفكار العبقرية، فلولا الكلمة، لكانت العزلة المطلقة التي تعني الانتحار والفزع والموت .

إن الكلمة الفصيحة البليغة والمتميزة بأدق فنون التعبير، هي التي تستقل بتوجيه العقل والذوق، إنها السحر الحلال الذي لا تشاركه أي أداة أخرى في السيطرة على الانسان.

اليس أعظم تراث للبشرية هو الكتب الدينية المنزلة وغير المنزلة ؟

ويستطرد الكاتب متسائلاً : ألم يكن القرآن الكريم المعجزة الكبرى للنبي محمد ﷺ من دون سائر الأنبياء السابقين ؟ المعروف في تأريخ النبوات أن الأنبياء الأولين، كانوا يعتمدون بأمر من الله على وسيلة المعجزات المادية للتأثير في النفس البشرية الأولى. وقد احتفظوا بهذه المعجزات رغم ظهور ألوان من الآداب الألهية في صفحات محدودة أولاً، ثم في كتابين مقدسين، هما التوراة والأنجيل. لكن

---

(١) ص ٥٥ .

الأعجاز المادي الذي يبهر الحواس والخيال من ورائها بقى هو مصدر القوة المؤثرة عند كل الأنبياء السابقين على النبي ﷺ فابراهيم الخليل ألقي في النار و لم يحترق، وموسى أدهش السحرة بعصاه وفلق البحر، وعيسى أحيا الموتى وأبرأ الأكمه بإذن الله .

حتى إذا بلغت البشرية نضجها العقلي وحققت وعيها الروحي والذوقي جاءت معجزة الكلمة التي هي «القرآن الكريم» .

[هذه المعجزة التي تمثل إمكانيات الكلمة من شمول وعالمية وبيان وهداية.] فالكلمة تحيي الانسان أو تميته، وهي لاتقف عند يوم ولا عند فرد معين، بل ترافق العقل والذوق الانسانيين، وكان النبي العربي يريد دائماً – وبوحي من الله وتوجيهه بالطبع – أن يجعل من الكلمة التي هي مادة الاعلام الكبرى وسيلته الوحيدة إلى العقول والقلوب، ودونها ممارسة المعجزات المادية التي كانت تطلب منه على سبيل الأحراج من قبل مشركي قريش ويهود يثرب .

إن الكلمة المعجزة في القرآن الكريم كانت من القوة والوثوق بحيث أن الوحي الألهي قد تحدى المعارضين والمشككين أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة من سوره أو بآيات منه، ذلك القرآن قد نزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليكون بمثابة النموذج الاعلامي الأكبر الذي يخاطب العقول ويحرك النفوس ويتغلغل في القلوب .

ولعل أهمية الاعلام بصورة عامة – والصحافة بصفة خاصة – هذا الاعلام الذي يستعين باللغة الفصيحة البليغة الواقعية، القادرة على غزو القلوب والعقول، مستضيئاً بأحدث منجزات العلوم

الانسانية من تربية وأخلاق وعلم نفس واجتماع وغيرها، أن يكون ذلك تصديقاً للاعجاز الاعلامي في القرآن نفسه .

والسياسة الاعلامية الناجحة تحتاج إلى قوة ثانية، وهي الواقعية في الفكر والحوار.. وذلك أن الكلمة حين تبقى مجرد صوت جميل في صياغة تعبيرية فصيحة، لاتلبث أن تفقد دورها في تشكيل النفوس وصقل العقول وتوعية القلوب حينما تعرى من مادة الفكر الواقعي .

إن خطورة وأهمية الكلمة، هي في كونها أداة صالحة لطرح القضايا الملحّة التي تشغل اهتمام السامع والمشاهد والقارىء... وفي كونها أداة لنقل الأفكار التي تصدر عن الواقع وتتفاعل معه .

وما الصورة التي نزل بها الوحي الذي حمل رسالة الاسلام إلى النبي المصطفى محمد ﷺ .. أو الوقائع التي رافقها الوحي أو جاء بعدها ليفصل فيها في ضوء الارشاد والتعليم الالهيين، وكذلك الآيات الكريمة التي نزلت تعقيباً على حوادث حدثت مثل ما جاء في سورة المسد وسورة الأنفال وغيرهما، إلا شواهد تؤكد الوجهة أو الظاهرة الواقعية للتوجيه الاعلامي في القرآن الكريم، بل تسلط الضوء على منهج القرآن في مواجهة الوقائع ومناقشة الأحداث، والكلمة القوية والفكر الواقعي يحتاجان أيضا إلى قوة ثالثة تمنحهما المزيد من التأثير والفاعلية، إنها قوة «الحق» ونعني بالحق هنا مناقشة كل القضايا المطروحة بمنهج موضوعي سليم لا يلتفت فيه إلى أي عامل من العوامل العارضة التي تتناقض مع قول الحق والحقيقة، ولعل هذا مما يعنيه قول الله تعالى ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي

أكُلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾[1]

فإن الصدق في تقرير الحقائق، والموضوعية في مناقشة الأحداث والالتزام بهذه الموضوعية في السلوك، كلها عوامل ايجابية في التمكين للاعلام الاسلامي وفي توثيق العلاقات بين كل الأطراف، بحيث لا تشوب هذه العلاقات أي شائبة من الريبة والشك، فليس أخطر على العمل الاعلامي - بمختلف وسائله - من أن تتناقض الأقوال مع الأفعال ... أو أن تكذب الوقائع ما يجري على ألسنة الاعلاميين. وماتسجله أقلامهم وتكتبه صحفهم .

إن المعركة التي يخوضها الاعلام الاسلامي بكل وسائله ومنها أو على رأسها الصحافة، ذات طبيعة استراتيجية، بمعنى أنها تنطلق من رؤية فكرية شاملة ملتزمة بمنهج معين، لا سيما وأن الإسلام ليس رؤية اعتقادية وحسب، إنه طريقة في التفكير واسلوب في العيش وخطة في التعامل، أي هو عقيدة وشريعة وآداب معينة وسلوك .

فالحاجة ماسة جدا إلى النهوض وتنظيم حملة اعلامية صحفية شاملة، يقتنع من خلالها المسلمون - ولا سيما النخبة الواعية والمثقفة - بأن مواجهة القضايا المطروحة في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والوقوف بوجه التيارات الزاحفة والمبادىء المرافقة لها وكشفها وتعريتها، وذلك من خلال الرؤية

---

(١) سورة ابراهيم - الآيتان / ٢٤، ٢٥ .

القرآنية أو تراثنا القرآني ثم تغير بعض المسلمات التي يلجأ اليها سدنة العصر الحديث، وممن توصلوا الى استيعاب عقول كثير من المسلمين .[1]

الصحافة والرأي العام :

لا يستطيع أي انسان انكار الدور أو الأثر الذي تتركه الصحافة في الحياة الحديثة وهي لاتزال – على الرغم من انتشار الاذاعة والتفاز – أقوى وسيلة في التأثير على الرأي العام الذي يحتل اليوم مكان الصدارة .

إن المجتمعات الحديثة تعطي الصحافة المكانة اللائقة بها. ولقد دلت التجارب على أنه لا يمكن حكم الناس حكماً طويلاً، إلا بموافقتهم، إن رضا الشعب في النهاية يقر القوة ويملي القانون حتى على المتجبرين والطواغيت والمستبدين في السلطة. وهذه حقيقة آمنت بها الحكومات المطلقة ذاتها، فادعت ومازالت تدعي أنها تعتمد في كل شيء على الرأي العام فأخذت تتفنن في تشكيله، وذلك بالسيطرة على وسائل الاعلام – والصحافة بالذات –

وبعبارة أخرى أن الرأي العام هو المجال الذي يعمل في نطاقة أي عمل اعلامي.

وقد اهتمت رسالة الاسلام بجماهير الرأي العام وحفل القرآن الكريم في كثير من آياته بهذه الجماهير كما حدد أساليب مخاطبتهم...

---

(١) أنظر – المصدر السابق ص ٥٧ – ٦٧ .

وفي هذا يقول محمد عبدالله دراز [1] : إن الاسلام يعترف بوجود محكمة غير مركزية وغير رسمية في المجتمع، إنها مهيبة الجانب وهي محكمة الرأي العام، وهذه المحكمة هي التي تصدر الأحكام التي يرفع بها أناس وينخفض آخرون، وهي صوت الأمة، ويؤكد الاسلام على ضرورة الرجوع إلى الرأي العام للاستعانة به في مختلف الأمور... « قال الله لرسوله ﷺ ﴿ فبما رحمةٍ من الله لِنتَ لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم وأستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ [2]

وأكد ذلك في سورة الشورى بقوله عز وجل : ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [3]

وجعل حكم الرأي العام على المؤمن معتمداً لحكم الله ورسوله، في تقويم أعمال المسئولين ومحاسبتهم... قال الله تعالى : ﴿ وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾[4] ... وقد نهج الرسول الكريم هذا المنهج، فكان يرجع إلى أصحابه وقادة الرأي يستعين بهم فيما لم يرد بشأنه نص، بل ويرجع عن خططه إذا وجد في رأيهم صواباً.

---

(١) محيي الدين عبد الحليم – الاعلام الاسلامي وتطبيقاته ص ١٧٢ .
(٢) سورة آل عمران – الآية / ١٥٩ .
(٣) سورة الشورى – الآية / ٣٨ .
(٤) سورة التوبة – الآية / ١٠٥ .

وكثيرا ماكان يقول لهم، عن أنس وعائشة عن الرسول ﷺ : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » [1]

وقد سار الخلفاء الراشدون على هذا النهج، وفي سير حياتهم من الأدلة ما يؤكد هذه الحقيقة ... ولعل المقام يتطلب الاشارة إلى أصناف أو فئات الرأي العام تجاه الدعوة الإسلامية، ومن المناسب عرضها هنا على ضوء تقسيم الدكتور عبدالكريم زيدان : [2]

١ ــ قـادة الــرأي :

وهم الذين يحتلون مواقع القيادة والريادة في مجتمعاتهم، وهم ذوو النفوذ والسلطان استناداً إلى سلطة أو علم أو جاه، هؤلاء غالبا مايأخذون موقفاً معادياً من أي دعوة جديدة، وقد كانوا يرفضون دعوة الرسل ويعارضوهم خشية ضياع نفوذهم ومراكزهم وسلطانهم، هؤلاء هم الذين أسماهم القرآن «الملأ» فقال فيهم ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشراً مثلنا .. ﴾ [3] وقال جل وعلا ﴿ وأنطلق الملأ منهم أن أمشو واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ﴾ [4].

وقادة الرأي هؤلاء هم الذين يلعبون أخطر الأدوار وأكثرها فاعلية في توجيه الجماهير التابعة لهم .

---

(١) رواه مسلم كتاب الفضائل – الباب / ٣٨ – وجوب امتثال ماقاله شرعا ..
(٢) محيى الدين عبدالحليم – المصدر السابق ص ١٧٤ ومابعدها .
(٣) سورة هود – الآية / ٢٧ .
(٤) سورة ص الآية / ٦ .

٢ ــ جمهـــور العـــامة :

وهم الأكثريه من الناس، وهـؤلاء أسرع مـن غيرهـم في الاستجابة لقول الحق في كل الأوقات، فهم أتباع رسل الله، وذلك لعدم وجود الموانع لديهم الموجودة لدى «الملأ» كحب الرئـاسة والسيطرة والأنفة من الأنقياد، إلا أنه على الرغم من أن جمهور العامة مهيأ للاستجابة السريعة أكثر من غيره، فإن هناك احتمالا لتأثره بمكائد الملأ، وتضليلهم له بدافع الخوف أو الأغراء بالمال أو الشبهات. كأتهامهم الداعي بالضلال والسفاهة .

قال تعالى : ﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾[1]

وقال تعالى على لسان نبيه نوح ﴿ رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ﴾[2]

٣ ــ المنـــافقون :

وهم الذين يظهرون غير مايبطنون، ويظهر هؤلاء بصفة عامة إذا وجدوا أنفسهم قلة واستجاب معظم الناس إلى دعوة الله ودخل الأيمان قلوبهم. وصارت السيادة للمؤمنين وأصبح المجتمع اسلامياً، فلا يقووا على مواجهة الكثرة فيلجأوا إلى نفاقهم. وقد واجه الرسول ﷺ هذه الفئة في المدينة بعد أن أنتشر الاسلام بها وصار للمسلمين قوة وسلطاناً، وقد قال فيهم القرآن الكريم : ﴿ وإذا لقوا الذين

---

(١) سورة الأعراف – الآية / ٦٦ .

(٢) سورة نوح – الآية / ٢١ .

آمنوا قالوا أمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ﴾ [1]

٤ ــ العصـــــاة :

وهم فئة من الجماهير المسلمة الضعيفة الأيمان، وانزلاقهم الى المعاصي سهل، وهم كما يعرّفهم الدكتور زيدان : «الذين نطقوا بالشهادتين، ولكنهم يرتكبون بعض المخالفات لأحكام الأسلام، ومنهم كثير المعاصي ومنهم المقل لها، وبين هـذا وذاك درجات كثيرة .

من هنا يجب على الصحافة المسلمة أن تضع في أعتبارها كل هذه الفئات، وتختار الأسلوب وترسم الخطة المناسبة والملائمة لكل فئة ودرجة ايمانها.. أو بعبارة أخرى ترسم الرسالة الصحفية لكل صنف من أصناف الرأي العام، خاصة إذا علمنا بأن الرأي العام لم يكن في وقت من الأوقات محل اهتمام كما هـو عليـه اليـوم. والمسئوليات الملقاة على عاتقه في الوقت الحاضر. أكثر وأكبر من التي ألقيت عليه في أي وقت مضى .

والحقيقة أن الصحافة هي في نفس الوقت صدى لهذا الرأي، وأداة لتوجيهه وإرشاده، كما أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لم تقتصر على صنف من الناس دون الآخر. فالانسان أينما وجد وكيفما كان يجب أن تصله الدعوة... بدليل قوله تعالى : ﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ وماأرسلناك

---

(١) سورة البقرة – الآية / ١٤ .

(٢) سورة الأعراف – الآية / ١٥٨ .

إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ [2]

وهكذا فالدعوة الإسلامية تخاطب الرأي العام في العالم كله، لاتتوقف أو تتحدد ببيئة معينة أو زمان معين، فهي صالحة لكل زمان ومكان... وإنطلاقاً من هذا الجانب فواجب الصحافة المسلمة وهي إحدى وسائل الإعلام الهامة التي تستخدم في الدعوة الإسلامية في كل وقت وفي كل بقعة من الأرض، عليها تقع مسئولية توجيه ومخاطبة الرأي العام والتأثير فيه بما يخدم الإسلام والمسلمين، أو يخدم الدعوة الإسلامية، لاسيما وعالمنا اليوم - بكل أسف - مليء بمثل هذا النوع من فئات الرأي العام، بل بأكثر قوة وأكثر تفننا في أساليب الشر والدمار والهلاك .

ولايخفى ما للرأي العام اليوم من قوة عظيمة يحسب حسابها في ميزان القوى وفي تقدير فاعلية التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

والصحافة تلعب دوراً بارزاً ومهماً أيضا في تكوين الرأي العام، فما أن يفتح الانسان عينه إلا ويحس بمن يناديه ويخاطبه ويتحدث اليه. فعليها بذل الجهد الكبير وبمختلف الأساليب والأشكال الشريفة في استمالة الرأي العام لخدمة الدعوة... عليها أن تشارك

---

(١) سورة سبأ - الآية / ٢٨ .

(٢) سورة الصف - الآية / ٩ .

الناس متاعبهم وتساعدهم على حلها كي تستطيع السيطرة عليها وكسبهم لصالحها وبالتالي لصالح الدعوة، خاصة – وكما أسلفت – بأن الرأي العام هو المنبع الذي تصدر عنه أحكام الناس أو المجتمع وهو القوة التي تؤثر في العلاقات العامة، وبدون تأثير الرأي العام لا يتحقق النجاح لأي عمل في مختلف مجالات الحياة .

إن الرأي العام يقوم بوظيفة ضابطة ومنظمة لسلوك الفرد والجماعة والعائلة أو الأسرة ، والقرية والمدينة والدولة ومجموعة الدول، ثم المجتمع الدولي، وهو يحركها جميعاً ويدفع الشعب نحو التقدم والتطور والعمل – أي عمل مهما كانت الجهود التي بذلت فيه – وذلك أن للرأي العام جبروته وسطوته في مختلف مستوياته، وقوته في توجيه الأفراد والجماعات الصغرى والكبرى، بمعنى أنه يمثل الإرادة والرغبة العامة التي تفرض نفسها لحماية كيان المجتمع . فتعمل الصحافة جهدها على تثقيف الرأي العام وتنويره وتحليله وقياس اتجاهاته لتحول بالتالي دون إنحرافه، سواء بفعل الجهل بطبائع الأمور أو بفعل المفاهيم الخاطئة والمضللة المدسوسة والأشاعات المعادية التي تلقى فيه تمهيداً لتنقيته وتطهيره، ثم العمل على رفع مستواه الفكري والعقائدي بدعم ومساندة القيم الاجتماعية والمبادىء الإخلاقية. ومحاولة توحيد أحكامه تجاه الأمور والقضايا المختلفة في تكاتف وتعاون، وتوجيهه نحو الطرق التي تخدم أهداف الدعوة الإسلامية .[1]

(١) أنظر زيدان عبدالباقي. وسائل واساليب الاتصال. ص ٤٣٢ .

بعد أن عرفنا قوة الكلمة في المضمون الصحفي، وقوة تأثيرها في الناس، وبعد تناولنا العلاقة الحميمة التي تربط الصحافة بالرأي العام، بل ودورها المؤثر والفاعل فيه... نتحدث – فيما يلي – عن :

دور الصحافة في تحقيق التقدم الفكري :

لقد وصلت الثقافة الفكرية في حدتها وتقدمها حداً جعل من الأبتكار العلمي والأدبي شيئاً رائعاً جداً، ولو بحثت عن الصورة التي تنطبع عليها بجلاء مظاهر هذه الثقافة المختلفة الألوان والمناحي لوجدتها في الصحافة. فإذا أردت أن تستشف روح أية أمة، أو تحكم حكماً تأريخيا وحضارياً على أي عصر، فإنك لاتستطيع أن تفعل ذلك – نقول هذا بقدر وافر من الثقة – إلا إذا بحثت وتوخيت ذلك من الصحف، لكونها المعبرة التعبير الصادق عن نفسية الأمة وسياستها .

وهي التي تعتبر الرسول الطبعي لتطور الروح والفكر .

وقد عبر (جيفرسون) أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية عن الصحافة قائلاً : «لو خيرتُ بين حكومة بدون صحافة أو صحافة بدون حكومة، فلن أتردد لحظة في اختيار الوضع الثاني .»[1]

وسئل رجل عن صنعته «فقال أستاذ مُؤَدِّب، فقيل له كيف ذلك وقد سمعنا أنك تصدر صحيفة، قال نعم فإني رأيت الناس لايرسلون أولادهم إلى المدرسة، أرسلت المدرسة إلى أولادهم في بيوتهم»[2]

---

(١) محمد الدرع، معلم الصحافة والانشاء، المكتبة الأموية. دمشق ص ٧ .

(٢) خليل صابات – الصحافة رسالة – ص ١٦ .

ولهذا كانت للصحافة منزلة كبيرة عند الأمم، فقد أهتمت بها إهتماماً بالغاً، فعُقدت لها المؤتمرات، وأُنشئت لها المعارض، وخُصص لدراستها قسم من جامعاتها الكبيرة حتى يكاد كل مشتغل بها أن يكون مختصاً في فرع من فروعها لايتعداه إلى غيره، كما يختص كل طبيب بنوع من الأمراض أو المهندس بفرع من فروع الهندسة، وقد بلغ من العناية بالصحافة أنك لاتجد مدرسة أو كلية أو جامعة إلا ولها جريدة أو مجلة يقوم بأعمالها الطلاب .

ولاعجب في ذلك، فالصحافة الشريفة النزيهة هي العنصر الفاعل والهام في توجيه وإرشاد الأمة وحكومتها وشعبها، وهي أكبر مظاهر رقيها وتقدمها ونضجها، وخير معين للأمن والاستقرار وأكبر نصير للحق والعدل .

وهي بما تنشره من أخبار الأمم وحوادثها تعمل دائما على زيادة ثقافة المجتمع وتوثيق روابط المحبة والألفة والأخوة بين الأفراد في الأمة وبين الأمة وصديقاتها من الأمم الأخرى.. كما أنها تنشر المبادىء السامية والأخلاق الرفيعة وتدخل روح السرور والمرح على قلوب قرائها بما تعرضه من الموضوعات المختلفة والقصص الطريفة .

والحكومات لا تستغني عن الصحافة في حث الجمهور على مراعاة قوانين الدولة، وتنفيذ قرارتها وبياناتها المختلفة، والشعب لا يستغنى عن الصحافة في الذفاع عن حقوقه والتعبير عن أرائه وأفكاره ورغباته .

والكتاب والعلماء يستعينون بها في تعميم ابتكاراتهم وبث معارفهم وأبحاثهم .

والأمة بأسرها تحتاج إلى الصحافة في دعم حركاتها الاستقلالية وإمداد أبنائها بالتشجيعات المعنوية والمادية.

فدور الصحافة كبير في التأثير بكل ميدان، ولها نفوذ وقوة في كل أمة، ما تعجز عنه أية قوة مادية أخرى مهما بلغ شأنها، فهي سياج الأمة ودرعها، وسلاح الساسة ومجمع العلماء والأدباء، وجامعة عملية تلقن طلابها في المجتمع مختلف العلوم والمعارف [1] .

فالصحافة إذاً مدرسة جامعة، ولكنها بنفس الوقت قابلة جدا للانحراف والالتواء، أمرها بيد من يدير شؤونها إن سار بها نحو الاصلاح والتوعية السديدة، كانت طوع يمينه، وإن سار بها نحو التدمير والانحلال والضلال كانت طوع ارادته، هي اذاً وعاء يقبل أن يحمل الخير، ويقبل أن يمتلىء بالشر .

ومن واجب الصحافة أن تأخذ دور الرقيب الصادق لكل مايجري في الأمة من خير وشر، بل وينبغي أن تساعد في بناء المجتمع والأمة بناءً صحيحاً فتعمل على حل مشاكله وتعالج قضاياه بروح المخلص الأمين .

إن أغلال الاستعمار الثقافي لاتزال سارية في بعض معاهدنا وجامعاتنا، وكذلك على بعض صحفنا العربية الاسلامية. وبمقدورنا إذا اتسمنا بالحكمة وحسن السداد أن نقّوم هذا الأعوجاج ونصلح فساده، فلا نرى صحافة تساوم على المبادىء، ولا تهتم إلا بالجانب المحلي من مشكلات الأمة، ولا نرى صحافة تجافي الحق وتضلل

---

(١) أنظر – محمد الدرع – المصدر السابق – ص ٩،١٠ .

الجماهير وتلعب بمشاعرهم .. ولا نرى صحافة تتهافت على المادة، حينما تنافق للكبار وللاستعمار واعوانه ... نقول بمقدرونا اصلاح ذلك ونجعل من صحافتنا خالصة لنا تسدد أراءنا وتسيرها في طريق الخير والصلاح والثقافة الاسلامية – صحافة اسلامية – تواجه التيارات الفكرية الوافدة والزاحفة والمبادىء المرافقة لها. فتكشف عن عوارها، وتسلط الضوء عليها ثم تطرح تراثنا من القرآن والسنة المطهرة على النحو الذي يستعيد به المسلم رؤيته للعصر في ضوء هذا التراث.

إن المهم في تنظيم هذه الحملة لصحافتنا والسير نحو الهدف المنشود هو أن يقتنع المسلمون وبخاصة النخبة المثقفة منهم، أن مواجهة القضايا المطروحة اليوم في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ممكنة جدا من خلال الرؤية الصادقة لقيمنا ومبادئنا في القرآن والسنة، والسبيل إلى ذلك هو تغيير الأفكار المخالفة التي يلجأ إليها سدنة العصر الحديث ممن توصلوا إلى السيطرة على عقول كثير من المسلمين .

فإذا تحقق الانجاز تكونت بذلك رؤية ثقافية ذات أبعاد نابعة من رسالتنا الدينية، تسلط من خلالها الأضواء على الدور الذي يمكن أن تقوم به في أمة كأمتنا تستعد للنهوض بمسئولية قيادية تنفرد عن قيادة الفكر الوافد في مناهجها وطرق التفكير فيها وبالبنية التأريخية والجغرافية التي تقوم عليها [1]

---

(١) أنظر – الأعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية – ص ٤٢ ومابعدها .

ولكي يتحقق مانصبوا إليه ومانرجوه من الصحافة بهذه الاعتبارات المتعددة من خدمة للدعوة في ميادينها العامة، وتأثيراتها على الفرد والأسرة والمجتمع، وعملها الفكري والسلوكي.. فإن الحاجة تقتضي أن نبدأ البداية الصحيحة ونخطوا الخطوات المنتظمة الدقيقة، ونمشي على الطريق المستقيم الذي يوصل إلى الهدف بأسرع وقت وبأيسر الوسائل .

من هنا يجب على صحافتنا الاسلامية أن تعمل متأسية بمنهج رسول الله ﷺ في الدعوة فتعمل على ترسيخ العقيدة وتثبيت معانيها وتحريك مقتضيات العمل بها، فتلك عملية أساسية للمنطلق الانساني السليم .

وعليه يكون المنطلق عقيدة سليمة صادقة ايجابية، ينتظم من خلالها سلوك البشر ونظام المجتمع، فتنطلق ايجابياته تقدماً وارتقاءً وسعادة وعزة .

لهذا كان لزاماً علينا أن نناقش دور الصحافة في ميدان الاعتقاد والتشريع والسلوك مع بيان أهمية الصحافة وأهمية دورها في هذا الميدان... وهو ماتتناوله الفصول التالية :